

وفي مقدور المامة والدهاء أن يدعوا التنبؤ بالغيب عن هذا الطريق ، وهذا ما لا يسلم به أحد . وهنا يفارق الفارابي أستاذه ويقرر أن الانسان يستطيع بواسطة تخيلته الاتصال بالملم العلوي واختراق حجب الغيب والوقوف على المكنون والحق . ولكن يجدر بنا أن نعقب على هذا مسرعين بأن الفارابي وإن خالف أرسطو فأما يخالفه في نقطة محددة ؛ ذلك لأن الاتصال بالعقل الفعال عن طريق الخيلة لا يتم في رأيه إلا لطائفة ممتازة وجمع مختار ، وإذا كان الفارابي تد وفق لحل موضوع المقامات والرؤى فلم يبق أمامه إلا خطوة واحدة لحل مشكلة النبوة . فان الخيلة متى تحررت من أعمال اليقظة المختلفة استطاعت أثناء النوم أن تصعد إلى سماء النور والمرآة . وإذن متى توفر لدى شخص خيلة ممتازة تمت له نبوءات في النهار مثل نبوءات الليل ، وأمكته في حال اليقظة أن يتصل بالعقل الفعال مثل اتصاله به أثناء النوم ، بل ربما كان ذلك على شكل أوضح بصورة أكل . فالنبي في رأى الفارابي بشر منح خيلة عظيمة تمكنه من الوقوف على الالهامات السماوية في مختلف الظروف والأوقات

هذه هي نظرية النبوة في حقيقتها العلمية والفلسفية ، وظروفها وأسبابها الاجتماعية ، ومصادرها وأصولها التاريخية ، ونمتدق أنها الجزء الطريف والبتكر في فلسفة الفارابي . حقا إنها تتمتع على أساس من علم النفس الأرسطي ، إلا أنها في مظهرها الكامل أثر من آثار تصوف الفارابي ومعتقداته الدينية . فان الاتصال بالعقل الفعال سواء أكان بواسطة التأمل والنظر أم بواسطة التمثيل هو قرة الصوفية الفارابية . ومن جهة أخرى يجب أن نلاحظ أن الفارابي متمسك هنا مع مبدئه في التوفيق بين الفلسفة والدين ومتأثر بتعاليم الاسلام تأثره بأفكار أرسطو . فان العقل الفعال الذي هو مصدر الشرائع والالهامات السماوية في رأيه أشبه ما يكون بالملك الموكل بالوحى الذي جاءت به نظرية الاسلام : كل منهما واسطة بين المبدور به وصلة بين الله ونبيه . والمشرع الأول والملم والوحى الحقيقى هو الله وحده . وبهذا استطاع الفارابي أن يمنح الوحى والالهام دعامة فلسفية ، وبثبت لشكريهما أنهما يتفقان مع مبادئ العقل ويكونان شخصية من شرب علم النفس

نظرية النبوة عند الفارابي

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور

مدرس الفلسفة بكلية الآداب

- ٥ -

اعتنق الفارابي ، بعد الكندي ، نظرية أرسطو في الأحلام وقال معه إنها أثر من آثار الخيلة ونتيجة من نتائجها . ولا بد أن يكون القارىء قد لاحظ في التفاصيل والجزئيات تشابها واتصالاً أكثر من هذا بين رأى الفيلسوف العربى والفيلسوف اليونانى ؛ فان الفارابي يستند بالبول والمواطف ويثبت ما لها من أثر في تكوين الأحلام وتشكيلها . ويرى كذلك أن لطبايع والأمزجة دخلاً كبيراً فيها . وكل تلك أفكار ردها أرسطو من قبل

يبد أن مؤسس الليسيه يجهد نفسه دائماً في أن يعمد عن مذهبه التفسيرات الدينية والتعليقات القائمة على قوى خفية وأسرار غامضة . وزهته الواقعية تطلب عليه في دراساته النفسية كما استولت عليه في أبحاثه الطبيعية والاخلاقية . لهذا تراه يرفض أن تكون الرؤى وحياً من عند الله ، ولا يقبل مطلقاً التنبؤ بواسطة النوم . لأن الأحلام ليست مقصورة على طائفة دون أخرى ،

بين ألمانيا وإيطاليا يبدو شيئاً مزعج الأسس أمام التطورات الأخيرة في أوروبا الوسطى ؛ وهامى ذى إيطاليا رغم سياحها ووعيدها تؤثر أن تمد بها إلى إنكلترا التى تمضى في تمليحاتها البحرية والجوية بخطى الجبارة

والخلاصة أن الفاشستية هي منبع الخطر على سلام أوروبا ، ففي إيطاليا وألمانيا تضطرم النار الخفية التى قد تثير ضرام الحرب في أية أزمة من الأزمات التى مازالت الفاشستية تعمل على إثارتها بلا تدبر للمواقب ؛ فإذالم تنجح أوروبا في كبح هذه النزعة الخطرة ، فالويل للسلام الأوروبى والحضارة الأوربية ؛ بيد أن كل ما هنالك يدل على أن أوروبا حريصة على سلامها وتراتها ، وأنها لن تتخلى أمام وهيد هتلر وموسوليني

غير أنه قد يترض عليه بأنه يضع النبي في منزلة دون منزلة الفيلسوف . فأن وصول الأول عن طريق الخيلة في حين أن الثاني يدرك الحقائق الثابتة بواسطة العقل والتأمل ، وليس هناك شك في أن المخرجات العقلية أفضل وأسمى من المعلومات التخيلية ؛ ولكن الفارابي فيما يظهر لا يأبه بهذه التفرقة ولا يعبرها أية أهمية ؛ وسواء لديه أن تكون المعلومات مكتسبة بواسطة الفكر أم بواسطة الخيلة ، مادام العقل الفعال مصدرها جميعاً ، فقيمة الحقيقة لا ترتبط بالطريق الذي وصات إلينا منه ، بل بالأصل الذي أخذت عنه ؛ والنبي والفيلسوف يرتشان من مدين واحد ويستمدان علمهما من مصدر رفيع ؛ والحقيقة النبوية والحقيقة الفلسفية هما على السواء نتيجة من نتائج الوحي وأثر من آثار الفيض الآمهي على الانسان عن طريق التمثيل أو التأمل .

على أن الفارابي يبد أن فرق في كتابه : آراء أهل المدينة القاضية بين النبي والفيلسوف من ناحية الوسائل التي يصلان بها إلى المعرفة عاد فقرر في مكان آخر أن الأول ، مثل الثاني ، يمكنه أن يبرج إلى مستوى الكائنات العلوية بواسطة العقل . فان فيه قوة فكرية مقدسة تمكنه من الصعود إلى عالم النور حيث يتقبل الأوامر الألهية فلا يصل النبي إلى الوحي عن طريق الخيلة فحسب ، بل بما فيه من قوى عقلية عظيمة . يقول الفارابي : « النبوة مختصة في روحها بقوة قدسية تدع لها غريزة عالم الخلق الأكبر كما تدع في روحك غريزة عالم الخلق الأصغر فتأتي بمعجزات خارجة عن الجبله والعادات ؛ ولا تصدأ صرأتها ولا يمنعها شيء عن انتدش ما في اللوح المحفوظ من الكتاب الذي لا يبطل ، وذوات الملائكة التي هي الرسل ، فستبلغ مما عند الله إلى عامة الخلق » (١) .

وإذا كان في مقدور النبي أن يتصل بالعقل الفعال بواسطة النظر والتأمل فان النبوة تصبح ضرباً من المعرفة يستطيع الناس على السواء الوصول اليه . فتأثير العقل الفعال يبعث وتفكر وتدرك الحقائق السامة ، ويتفاوت أثره فينا مختلف درجاتنا ويفضل بفضنا بفضنا ، وإذا ما عظم اشراقه على واحد منا سما بنا إلى مرتبة الإلهام والنبوة . وعمل هذا هو الذي دفع علماء الكلام

إلى أن يأخذوا على الفارابي ومن جاء بعده من فلاسفة الاسلام ميلهم إلى عد النبوة أمراً مكتسباً . مع أن أهل الحق ، فيما يصرح الشهرستاني ، يقولون « إن النبوة ليست صفة راجعة إلى النبي ، ولا درجة يبلغ إليها أحد بعلمه وكسبه ، ولا استمداد نفسه ، يستحق به اتصالاً بالروحانيات ، بل رحمة عن الله بها على من يشاء من عباده » (١) . ونحن لا ننكر أن موازنة الفارابي بين النبي والفيلسوف تدع باب النبوة مفتوحاً للجميع ، كما أن الفلاسفة ليست مقصورة على طائفة دون أخرى . إلا أنه يخيل إلينا أن الفلاسفة في رأي الفارابي ليست سهلة النسال بالدرجة التي تبدو لأول وهلة ، فلكل أن يتفلسف ، ولئن يحظى بالفلسفة الحق إلا أفراد قليلون ؛ وفوق هذا فالفارابي يقرر أن النبي ينعم بخيلة ممتازة أو قوى قدسية خاصة ، ويطلب على ظننا أن هذه القوة القدسية وتلك الخيلة فطريتان في رأيه لا مكتسبتان وإن كان هو نفسه لم يصرح بذلك . ونحن نعلم جميعاً بأن في نفس النبي ومزاجه كلاً فطرياً استحق به النبوة ، وسما بيبه إلى الاتصال بالملائكة وقبول الوحي . والأنبياء هم صفوة الناس وخيرة الله في خلقه : « الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس » يقول الشهرستاني : « فكما يصطفهم من الخلق تولا بالرسالة والنبوة يصطفهم من الخلق فعلاً بكال الفطرة وتقائه الجوهر ، وصفاء المنصر ، وطيب الأخلاق وكرم الأعراف . فيرفهم مرتبة مرتبة ، حتى إذا بلغ أشده ، وبلغ أربعين سنة وكلت قوته النفسانية وتهبأت لقبول الأسرار الآسمة بث اليهم ملكاً وأنزل عليهم كتاباً » (٢)

وأخيراً إذا كان الفارابي قد استطاع التخلص من الاعتراضين السابقين فهناك اعتراض ثالث تميز الإجابة عليه ، وهو أن تفسير الوحي والإلهام على النحو السيكلوجي السابق يتعارض مع كثير من النصوص الثابتة . فقد ورد أن جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم في صورة بعض الأعراف أو أنه كانت تسمع له صلصلة كصلصلة الجرس ، إلى غير ذلك من

(١) الشهرستاني ، نهاية الأقدام ، ص ٤٦٣

(٢) المصدر نفسه ؛ ص ٤٦٣

(١) الفارابي ، الثرة الرضية ، ص ٧٢

شملت المسلمين منذ القرن الأول للهجرة . وفي رأى الفارابي أن النبي والامام والملك والحاكم والفيلسوف الذى نادى به أفلاطون للجمهوريته يجب أن يقوموا بمهمة سياسية واحدة^(١) . فهم واضعو التواميس والشرفون على النظم الاجتماعية مسترشدين في كل هذا بالأوامر الآتية . وميزتهم المشتركة أنهم يستطيعون الاتصال بالعالم الروحاني في حال اليقظة وأثناء النوم بواسطة الخيالة أو العكورة^(٢) . وفي هذا التفسير ما فيه من انتصار للاسماعيلية والشيعة بوجه عام سترى أثره فيما بعد

(يتبع)

ابراهيم مدكور

(١) الفارابي : تحصيل السعادة ؛ ص ٤١ — ٤٤

(٢) الفارابي : السياسات المدنية ؛ ص ٤٤ — ٥٠

انتظروا في أول يناير :

الرواية

وهي مجرد أسبرجة للنقص والتاريخ

تصدرها ادارة (الرسالة)

وستتمتع في الغالب على قتل ماراغ وخذ من بدائع الأدب الثرى في القصص على أوسع معانيه من الأفاصيح والروايات والرحلات والمذكرات والاعترافات والنوادر . وسيكون دستورها : الجمال في الأسلوب ، والحسن في الاختيار ، والنبل في الفرض ؛ فترضى الذوق كما ترضى (الرسالة) العقل ، وترفع القصة كما ترفع (الرسالة) المقالة ، وتسجل أدب الغرب كما تسجل (الرسالة) أدب العرب بدل اشتراكها في السنة مؤقتاً ثلاثون قرشاً في الداخل ، وخمسون قرشاً في الخارج . وكل من يردد اشتراك (الرسالة) كاملاً قبل انتهاء شهر يناير ترسل إليه (الرواية) مجاناً

آثار متصلة بالوحى وطرائفه . ولا نظن أن هذه الآثار غابت عن الفارابي ، إلا أنه ، فيما نعتقد ، شغل بمسألة أخرى ، وعنى بأن يثبت أولاً وبالذات أن الوحى أمر ممكن ولا يخرج على المبادئ العلمية المقررة ، وبذا أصبح اتصال الروحاني بالجسماني الذى كان يستبده الصابئة وغيرهم مقبولاً ، وينبى أن نلاحظ أن جل جهد الفارابي في نظرية النبوة لم يكن موجهاً نحو أهل السنة الذين يؤمنون بكل ما جاء في القرآن والحديث متصلاً بالوحى وكيفياته ، وإنما كان مصوباً الى تلك الطائفة التى أنكرت النبوة من أساسها ، وهذه الطائفة لم تحارب الاسلام فحسب ، بل حاربت الأديان على اختلافها . فلم ير الفارابي بداً من أن يتنصر لمبدأ النبوة من حيث هو وأن يوضح بمزمل عن أية بيئة أو وسط خاص ، وليس بعزيز عليه بعد هذا أن يتأول ماورد من نصوص دينية تخالف آراءه أو تبعد عنها ، وقد سلك سبيل التأويل غير مرة ، فلم بوجود اللوح ولقلم مثلاً ، ولكنه فسرها تفسيراً يتفق مع نظرياته الفلكية والينافيزيقية^(١) ، ونحن لا نكر أن الاسترسال في التأويل قد يثير كثيراً من معالم الدين ، إلا أنه وسيلة لازمة لمن يحاولون التوفيق بين العقل والنقل . والحقيقة أن الفارابي وقف هنا ، شأنه في نظرياته الأخرى ، موقفاً وسطاً ، فأثبت النبوة اثباتاً عقلياً علمياً غاصاً الطرف من بعض النصوص والآثار المتصلة بها . وكأنه في الوقت الذى منحها فيه أساحة جديدة جزدها من بعض ما كانت تتمتع عليه من أحاديث وأسانيد . والموفق مضطر دائماً لأن يستخلص من الرأيين المتقابلين مذهباً جديداً يمت إلى كل واحد منهما بصلة

ومما يمكن من شيء فلم يصنع الفارابي إلا أنه أظهر في جلاء منزلة النبي السياسية والاجتماعية لكفى . وقد استطاع بهذا أن يرد على أباطيل ابن الراوندى واعتراضات الرازى . وعلى منونه سلف فلاسفة الاسلام الآخرون وفسروا كثيراً من التعاليم الدينية بهذه الروح وتلك النزعة . وبوضع النبوة هذا الموضع الانسانى الاجتماعى يمكن أن تحل مشكلة الرياسة الدينية والسياسية التى